السيف العربي

طلال غنام

واحد من الاهداف التي أرمي اليها من كتابة سلسلة مقامات معروف هو تصحيح بعض الأمور التي ألصقت بالعرب الى درجة أنهم هم أنفسهم أصبحوا يصدقونها. ومن أبسط هذه الامور هو السيف العربي.

كلنا، أو على الأقل معظمنا، تربينا على ان السيف العربي هو السيف المقوس الذي نجده في كل الصور والأفلام التاريخية التي تتكلم عن العرب، العربية منها والغربية. هذا السيف المعقوف، سواء الرفيع منه أو الغليظ، أصبح مثل الدمغة التي تميز العرب والمسلمين عن الغرب. ولقد أصبحت هذه الفكرة راسخة في أذهاننا لدرجة أننا أصبحنا نسقط هذا التصور على كل شيء له علاقة بهذا الموضوع حتى ولو لم يوجد أي دليل عليه، وأحيانا حتى عند وجود دليل ضده.

فمثلا، أنا أذكر أنه متى تم ذكر سيف علي بن ابي طالب المسمّى "ذو الفقار" فإن الصورة التي نراها وتتبادر الى أذهاننا هي صورة هذا السيف المقوس العجيب الذي له نهايتان مدببتان كما هو موضح بالأسفل.

هذا التصوير هو أبعد ما يكون عن الحقيقة. فبغض النظر عن كون هذا السيف ليس عمليا في القتال، تاريخيا، فإن السيف الذي هو أوثق ما يكون إلى ذو الفقار هو هذا السيف ذو النصل المستقيم تماما.

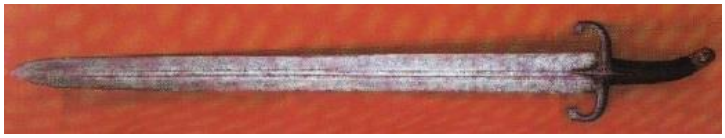

حتى في موسوعة ويكيبيديا فإننا نجد تصويرا لسيف ذو الفقار تم نحته على باب النصر في القاهرة أيام الحكم الفاطمي وهو سيف مستقيم تماما من دون شعبتين (أو قرنين) في نهايته كما هو واضح.

تاريخيا، وعلى امتداد العصور، كان السيف العربي مستقيما تماما ومن دون أي انحناء في نصله الذي قد يكون ذو حدّ واحد أو حدّان، كما هو واضح من السيوف المحفوظة في كل متاحف العالم، وخاصة تلك التي يقال إنها تعود للرسول العربي محمّد (ص).

كان السيف يرمز للقوة عند العرب (في حين كان القوس يرمز للقوة عند الأتراك مثلا) وكان العرب يحتفون بسيوفهم بشكل كبير إلى درجة أنهم كانوا يعطونها أسماء مميزة، وكلما ازداد الفارس شهرة ازدادت معه شهرة سيفه. فمثلا عندنا "ذو الفقار"، سيف علي بن أبي طالب المذكور سابقا و"الصدى" سيف أبو موسى الأشعري و"الأولق" سيف القائد المحنّك خالد بن الوليد و"الوشاح" سيف الخليفة عمر بن الخطاب.

امتلك السيف العربي العديد من الأنواع التي لقبت عادة تبعا الى المنطقة التي أتت منها. العالم الكندي في رسالته عن السيوف وأنواعها، تكلم عن حوالي خمس وعشرون نوعا. فمثلا لدينا السيوف اليمانية والقلعية والهندية. هذه كانت الأنواع العتيقة من السيوف العربية والأكثرها نبلا. لاحقا ظهرت الأنواع "المولّدة" كالخراسانية والبصرية والدمشقية والمصرية والأندلسية، إلخ.

من الناحية الشكلية والجمالية، فأنا شخصيا أجد السيوف الأندلسية الأكثر جمالا وأناقة، كما في الصورة لأحد هذه السيوف، والموضح عليها أسماء أجزاء السيف المختلفة.

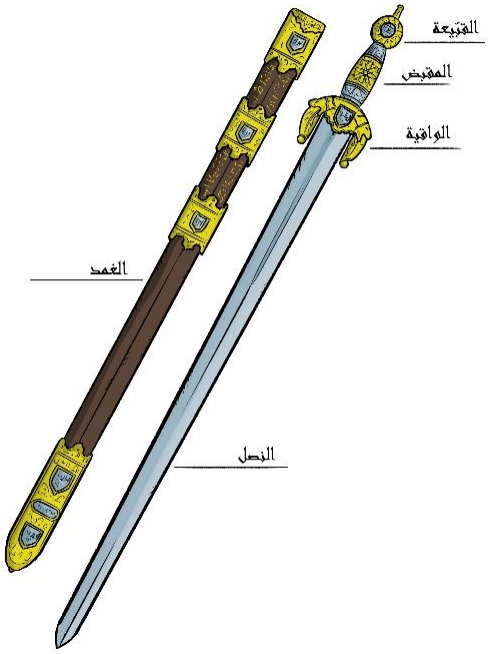

مثال أخر عن السيف الأندلسي هو للفارس العربي الأندلسي علي العطار الذي اشتهر بدفاعه الشرس عن قرطبة حتى أن هناك تمثال له مقام في مدينة لوجا في غرناطة بإسبانيا. أنا لم أسمع عن هذا الفارس من قبل واكتشفته صدفة عندما كنت أبحث عن صورة للسيف الأندلسي. هذه الشخصية تصلح لأن تكون قصة كوميكس رائعة. للمزيد عن هذا البطل، اضغط على الرابط التالي:

http://www.aceros-de-hispania.com/arab-sword-aliatar.htm

- ولكن من أين اتى السيف المعقوف إذاً، إذا لم يكن له أي وجود في التاريخ العربي؟

السيف المعقوف هو تركي/مغولي الأصل. وبسبب سيطرتهم على الحياة العسكرية والسياسية في البلاد العربية أصبح هذا السيف هو المرغوب أكثر وأصبح السيّافون يصنعونه أكثر من غيره إلى أن طغى على بقية السيوف. ومع زوال أهمية السيف بشكل تدريجي لم يبقى من الذكرى سواه واختفى السيف العربي الأصلي من الذاكرة.

- قد يتساءل المرء عن مدى أهمية هذا الموضوع، فما المهم أكان السيف العربي مقوسا أم لا.

أولا، لقد استخدم هذا السيف، مرارا وتكرارا في الاعلام الغربي لترسيخ فكرة الاختلاف بيننا وبينهم. فهذا السيف المعوّج الغريب اللامنطقي، عندما يصطدم بنظيره الغربي المستقيم الأنيق، يجسد الفرق بين الحضارتين، بل والأهم من ذلك، بين الدينين الإسلامي والمسيحي. المسيحي برمز الصليب والإسلامي برمز الهلال.

(ولكن منذ متى كان للإسلام رمزا؟ ومتى ومن أين أصبح الهلال رمزا للإسلام؟ هذا الموضوع مهم جدا برأيي، وله أسباب وعواقب أخطر بكثير من نصل السيف العربي. إن شاء الله سأتحدث عن هذا الموضوع في وقت أخر. يكفي أن نقول الأن أن الهلال، افقيا كان أم عموديا، لم يكن يوما ما، ولا يجب أن يكون أبدا رمزا للإسلام.)

ثانيا، لا أظن أن هناك أمة في العالم لا تعرف هكذا أمور عن حضارتها، خاصة عندما تكون تلك الحضارة قد سادت العالم في ذاك الوقت عسكريا وثقافيا لمئات السنين. هذا بحد ذاته أمر عجيب.

في الحقيقة، وللأسف، فنحن العرب لا نعلم أي شيء عن تراثنا وحضارتنا العربية، وخاصة لفترة ما قبل الغزو المغولي. لم يبق لنا من تراثنا سوى الوجبات والعزائم التي نقوم بها في أعيادنا.

وعندما ينظر المرء الى شعوب العالم القديمة كاليابانية والصينية والهندية والأوروبية إلخ، نجد تراثهم حاضر في كل مكان، ليس فقط في القلاع والحصون والمدن القديمة، بل وفي احتفالاتهم وقصصهم وأبطالهم وبرامجهم التلفزيونية والأفلام الخ. والأهم من هذا هو قصص أطفالهم المصورة والأفلام الكرتونية التي تزرع في قلوبهم حبهم لثقافتهم ولأبطالهم القدماء منذ نعومة أظفارهم.

فأين نحن العرب من هذا؟ وكيف تم محو تراثنا الرائع من حياتنا بهذا الشكل؟ وكيف سمحنا بغرز هذه الصورة الخاطئة عنا في عقولنا وعقول أطفالنا، والعالم أجمع؟ طبعا لقد كان للمغول والمماليك والعثمانيون الدور الأكبر في هذا، ولكن هذا لا يعفينا من المسؤولية، خاصة في الوقت الحاضر.

علينا أن نصحح هذه الصورة المقيتة ونري أطفالنا صورة يفخرون بها.

فالفروسية مثلا، وباعتراف الكتّاب الغربيين، بدأت من عندنا. نعم نحن العرب، كاليابانيين والصينيين، عندنا، أو كان عندنا، فنون للقتال كتب عنها عشرات الكتب، وخاصة في السيف والرمح ورمي النبال. بل ومن أقدم الكتب التي كتبت عن القوس والنبال هو كتاب عربي ترجم الى الإنجليزية واسمه (Arab Archery) ونجد في هذا الكتاب كل أصناف الأقواس العربية ومن أي المواد تصنع وكيفية الرمي بها إلخ. وهو من أهم المصادر التي يستخدمه الغرب عند الرجوع الى تاريخ هذا الفن النبيل. ولكن أين القوس العربي الآن؟ هل يوجد أحد في البلدان العربية يقوم بتصنيع هذه الأسلحة وبيعها؟ لا أدري ولا أعتقد ذلك. ربما في الغرب. فأقرب ما وجدت للقوس العربي هو هذا القوس الذي يصنعه الحرفي (المشهور عالميا) لوكاس نوفوتني في الولايات المتحدة والذي يسميه القوس "المملوكي/الساراسينز: (ساراسينز هي كلمة مجهولة الأصل والمعنى كان يطلقها الغرب، وخاصة خلال الحملة الصليبية، على العرب) وصورته بالأسفل:

ومن نفس الموقع أيضا هناك القوس "الدمشقي":

سأتكلم مرة أخرى بشكل موسع أكثر عن الأقواس العربية إن شاء الله.

الموقع الإلكتروني لهذا الحرفي هو www.salukibow.com. _لاحظ أن كلمة Saluki تعني الكلب السلوقي العربي الذي كان يستعمله العرب وخاصة أمراءهم وفرسانهم في الصيد، ثم استخدمه النبلاء الغربيون فيما بعد. نعم، كان عندنا أمراء يعيشون في قلاع ويقومون بحملات صيد وما شابه كما نسمع ونرى في الأفلام الغربية التاريخية، بل وقبلهم بعشرات السنين. وأوضح مثال لذلك هو الأمير الفارس أسامة ابن المنقذ الذي كان يعيش في قلعة شيزر قرب مدينة حماة السورية ومذكراته الرائعة التي كتبها عن حياته خلال الحروب الصليبية هي من أدق ما كتب عن العرب وحياتهم في تلك الأيام. عنوان الكتاب هو "كتاب الاعتبار" وهو متوفر للتحميل من موقع معروف https://www.maqamatmaroof.net/copy-of-resources. في الحقيقة فإن قصة أسامة هي من أكثر القصص التي يمكن أن تتحول بنجاح باهر الى كوميكس أو كرتون أو حتى فلم عادي، وانا مستغرب جدا كيف لم يقم أحد من العرب وخاصة رسامي الكومكس، بهذا من قبل. إن شاء الله سوف نتعرف على أسامة وحياته في قلعته في الجزء القادم من قصة معروف.

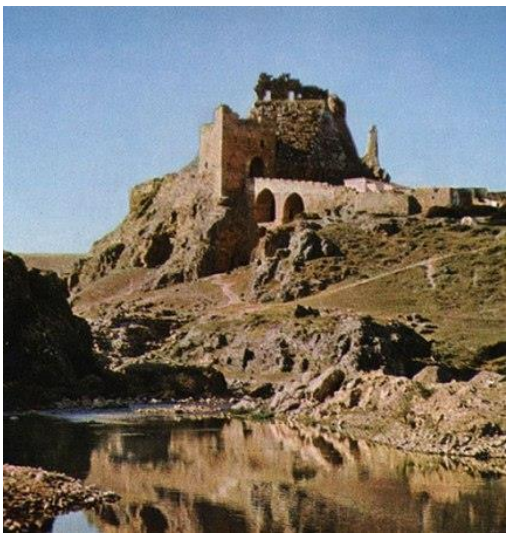

قلعة شيزر قرب مدينة حماة في سوريا.

إذا، نحن العرب ليس فقط عندنا تاريخ رائع، بل وعندنا تراث مشترك رائع من لباس، مدني وعسكري، ومن طقوس ومن فنون حربية يجب علينا إحيائه اليوم قبل غدا، وخاصة مع الهجوم الشرس علينا ومع المحي والطمس الممنهج لما بقي لنا من هوية وتاريخ وتدمير لأثارنا العربية الإسلامية.

والطريقة الأمثل لفعل هذا هي بالعودة الى مصادرنا القديمة المقروءة والمرسومة لكي نعيد بناء تراثنا الحقيقي وبشكل مرئي لكي يشاهده ابناءنا ويفخروا به.

وأنا برأي الشخصي، علينا إحياء الفروسية العربية بشكل خاص وتعليمها لأبنائنا، من السيف والرمح والرمي وركوب الخيل. ففي اليابان مثلا، تعتبر رياضة الكندو والتي تعني "طريق السيف" أرقى أنواع الرياضات القتالية، أرقى من الكاراتيه والأيكيدو وغيرها. وهي رياضة تعنى بالانضباط الجسمي والعقلي للشخص وتزيد من تركيزه وسرعة بديهته. فهذه الأسلحة هي ليست للقتال فحسب، بل هي لتهذيب النفس ولزيادة ثقة المرء بنفسه. ولا ننسى أن الفروسية العربية كما كتب ابن القيم لها قسمان: 1- فروسية العلم والبيان و، 2- فروسية الرمي والطعان. فالعلم وفن القتال مكونان أساسيين لشخصية الفارس العربي.

سأحاول جاهدا في الأجزاء القادمة من سلسلة مقامات معروف أن أركز على مفهوم الفروسية بشكل أكبر وبتفصيل أكثر.

لقد وضعت على صفحة معروف (www.maqamatmaroof.net) في قسم المراجع العديد من الكتب العربية المصورة القديمة التي تغطي معظم جوانب الحياة في المجتمع العربي، ماعدا العسكري منها، حتى يتمكن الجميع من الوصول اليها واستخدامها كمرجع موثق. من الناحية العسكرية فهناك سلسلة (Men-at-Arms) من الناشر (Osprey Publishing) حيث هناك العديد من الكتب التي تهتم بالجانب العسكري للمشرق العربي من عرب ومماليك إلخ، ولقد وضعت أسماء أهم هذه الكتب في أسفل المقالة لمن يهتم بهذا الموضوع.

صورة من مقامات الحريري للفنان الواسطي (1237م). هذه الصورة البسيطة تمكننا من معرفة، وبشكل دقيق، كيف كان لباس العرب، راياتهم، أبواقهم، طبولهم، سروج أحصنتهم وحتى كيف كانوا يربطون أذنابها، بالإضافة الى أن اللوحة بمجملها تعطينا صورة عن كيفية احتفالاتهم.

وعلى رسامي ومؤلفي الكومكس العرب بشكل خاص أن يستفيدوا من توفر هذه المصادر الأن لكي يقوموا بعمل متقن في نشر الثقافة العربي بشكلها الصحيح وجعلها متوفرة للجميع وخاصة أطفال العرب. يجب أن تحدث ثورة في هذا المجال وألا نترك لشركات مثل ديزني وغيرها أن تنشر هذه الصورة المضحكة المخزية عنا لأولادنا، وخاصة أن ديزني الأن تقوم بالتحضير لعمل فلم غير كرتوني عن علاء الدين والمصباح السحري. لكن للأسف سيكون مثل سابقته الكرتونية، مصورا العرب وبغداد بشكل سخيف وهزلي. ومن يستطيع أن يمنعهم؟

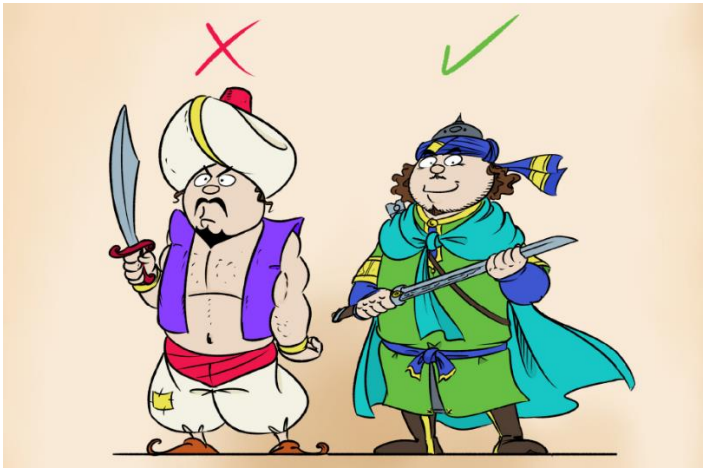

الفرق بين العربي الحقيقي وعربي ديزني.

كل ما أرجوه من هذه المقالة ومن قصص معروف هو إعادة الحماس عند العرب لتراثهم الضائع عن طريق عرض المعلومات الصحيحة عنه وخاصة بشكل مصور ومرئي لكي يصبح تصورهم له واضح ومن دون شوائب ولكي يتمكن المؤلفون والرسامون من إعادة صياغته بشكل يجذب انتباهنا وانتباه أطفالنا لروعة تراثنا العربي الإسلامي وروح الفروسية المتأصّلة فيه.

* * *

بعض المراجع عن الجانب العسكري لمحاربي العرب

1- Armies of the Muslim Conquest.
2- Armies of Islam: 7th-11th Centuries.
3- Armies of the Caliphates: 862-1098.
4- Saracen Faris: AD 1050-1250.
5- The Moors: The Islamic West 7th-15th Centuries AD.